

أمثال القرآن

[345] الآية التي هي موضع بحثنا بيان لضعف الأصنام وعجزها، ولمزيد من الإيضاح نشرع بتفسيرها. الشرح والتفسير (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستمعُوا لَهُ). التعبير بضرب مثل قد يكون لأجل أن هذا المثل الجميل وذات المغزى كان درجاً بين الموحدين منذ الأزمان الماضية ولم يكن جديداً، رغم ذلك طرحه الله هنا تارة أخرى؛ لكونه ذات طابع تربوي عال ويحتوي على عبر جيدة. (إِنَّ السَّادِّينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ). الأصنام التي يعبدونها المشركون ويسجدون ويركعون لها ضعيفة إلى درجة أن ذبابة غير قادرة على خلق ذبابة، كحشرة صغيرة، بل إن أصنام العالم كلها لو تكاثفت واجتمعت لأجل خلق ذبابة واحدة ما استطاعت عمل ذلك. (وإنَّ يَسْلُبُ عَنْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُمْ). بل ضعف الأصنام أشدَّ ممَّا ذكر، فلو أنَّ الذباب أخذ من الأصنام شيئاً ما كانت قادرة على استرجاعه، فهي لا إرادة لها ولا قدرة على عمل شيء ما، أي أنَّها لا تنفع ولا تضرُّ ولا قابلية لها لدفع الشر عن عبادها؛ لأنَّها غير قادرة عن الدفاع عن نفسها فضلاً عن الغير. يقال: كان المشركون في أيام خاصة من السنة، كأَيَّام العيد يطلون أصنامهم بالعسل والزعفران أو بمواد مشابهة لهما مما يجعلها ملجأً ومصدر طعام للذباب، وتستمر الذباب بالتردد والحوام حول هذه الأصنام حتى آخر قطرة من العسل، وإذا أخذت الذباب ذرة بسيطة من هذا العسل فإنَّ الصنم غير قادر على استرجاعه (1)، ولهذا يخاطبهم الله قائلاً: إِنَّهَا أَصْنَامٌ ضَعِيفَةٌ عاجزة عن استرجاع ما سُرق منها من العسل، فكيف يمكن للإنسان أن يطلب منها العون والمساعدة. 1. انظر الأمثل 10: 357.